

الدعوة إلى الإخاء والاتحاد عند بديع الزمان

أ. د. نوزاد يالجين طاش

إيها الإخوة الأعزاء، أيها الضيوف الأفاضل.

اسلم عليكم ملء احاسيسي القلبية، راجياً من الله العلي القدير أن يسبغ عليكم رحمته وبركاته. أهلاً وسهلاً بكم في هذه المدينة الجميلة، وفي هذا الاجتماع الحافل بالخير. وأتمنى للقادمين من خارج القطر أن يحملوا في طواياهم وهم يغادرون هذه المدينة العريقة المهيبة احسن الآراء والأحاسيس الإيجابية. لقد أصبحت هذه المدينة الجميلة كغيرها من المدن الإسلامية الشقيقة الأخرى مركزاً مباركاً فخماً للتواجد الإسلامي وللحضارة الاسلامية وثقافتها لعصور طويلة، وحافظت إسطنبول على الخلافة الإسلامية في احضانها لمدة أربعة قرون، حتى اصبحت رمزاً لوحدة واتحاد مسلمي العالم، وهي اليوم مدينة كبيرة تحافظ بعدد نفوسها البالغة اكثر من عشرة ملايين نسمة على هويتها الاسلامية من حيث جوامعها البالغة اكثر من ١٠٠٠ جامع وبمنابرها المشيرة كأصبع الشهادة نحو السماء، وبما تعد بالمئات من دوراتها التربوية والتعليمية، ومكاتبها، ومتاحفها وما لا يحصى من اثارها الإسلامية التي يفتخر بها المسلمون في العالم أجمع.

فادعو من الله القدير ان يمر هذا الاجتماع “المؤتمر العالمي الثالث حول فكر بديع الزمان الزمان” بنجاح، وقد كان لنجاح المؤتمر العالمي الثاني المنعقد في السنين السابقة، والذي أقبل عليه رجال العلم والمشاركين تأثيراً كبيراً لإنقاذ هذا المؤتمر الجديد. ففي هذا المؤتمر ستطرح آراء علمية بتقديم تليغات كثيرة من قبل رجال العلم، وعمل اللجان والندوات حول موضوع مركزي واحد وهو “بناء الفكر الاسلامي من جديد في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي” وسوف تناقش هذه المواضيع، ويُسعى للوصول الى النتائج النافعة، وقناعتي أن النتيجة سوف تكون إيجابية إن شاء الله.

ففي هذا الاجتماع العلمي الذي سنتناول فيه الأستاذ النورسي بفكره وتحليلاته وما إشار إليها من الأهداف، يتبين بكل وضوح أنه عالم دين فريد أنار المرحلة التي عاشها واليوم، والمستقبل، حيث نرى أمامنا اليوم كتبه وحياته النموذجية بكل طراوة وحيوية. لقد عاش بديع الزمان مرحلة لا تعتبر أزمة غائرة للدولة العثمانية ولتركيا فحسب، بل لجميع العالم الإسلامي كذلك، فقد اصبح القرن الثامن عشر عصر ظلام للبقاع الإسلامية وشعوبها بكل معنى الكلمة من حيث التفكك والتمزق والإنحطاط والسقوط أخيراً تحت حكم الدول الأوروبية فعلياً. وفي الربع الأول من القرن العشرين اصبحت البقاع الإسلامية وشعوبها كافة ما عدا تركيا ومالا يتجاوز عدد أصابع اليد من هذه البقاع، بدأً من الغرب إلى الشرق ومن هناك إلى محيط “باسيفيك Pasifik” مستملكة وإسيرة بيد المستعمرين .

كان رجال العلم في أحلك الليالي وإظلمها بمثابة النجوم المتلمعة التي تهدي السبيل القويم، وبمثابة البدر المنير الذي يضيئ الدنيا. هكذا كان الاستاذ النورسي الذي أفدى عمره كله حتى آخر أنفاسه في سبيل نشر حقائق الإيمان وتعليمها للأخرين في زمن فقد فيه المسلمون ثقتهم بأنفسهم، وضعفت اعتقاداتهم، وخيمت فيه غيوم اليأس كل الأصقاع. وقد كان عالماً للدين بحق يقوم بتبليغ الاسلام دوماً، ويسعى لنصب راية الإيمان على أسمق القمم، وقد مرت أقدار حياته كمنط من سالفه من العلماء الإجلاء على مدى التاريخ الذين تجرعوا في سبيل عقيدتهم، وأفكارهم وتبليغهم للحق من دون أن يلين لهم قناة، صنوفاً من الضغوط والمصاعب والإيذاء بل حتى المظالم كذلك، وقد تقاسم طلابه هذا النوع من الحياة المليئة بالمصاعب حتى الزمن القريب أيضاً.

كان الأستاذ النورسي يسعى لنشر وتفهيم الحقائق الإيمانية كأنوار تضيئ الظلمات من جهة ويتلقى في نفس الوقت آلاماً لاحد لها وعذاباً كبيراً من جراء ما وقع فيه العالم الإسلامي من الإنقسام والتمزق وسقوطه كأسير تحت سلطة الأخرين، فيقدم

ما بوسعه من الطاقة ليبين حلول التخلص من هذا الذل والمهانة، ولاشك ان الوحدة والاتحاد اللذين هما هم ضد الإنقسام والتمزق تماماً، يأتيان في بداية ما قدمه من الحلول.

ورغم أن “الإيمان” هو الموضوع العام والفكر المحوري والتبليغ في مؤلفات الاستاذ النورسي كافة، إلا أن العنصر الذي اتبعته مباشرة هو هدف “الإتحاد”. لذا تناول فكرة الوحد والاتحاد الاسلامي بصورة واضحة في كثير من مؤلفاته ووقف عليها طويلاً، وقد اهتم بغاية وحدة المسلمين واتحادهم إلى درجة فائقة من الإهمية حتى بين في مقالته المكتوبة تحت عنوان “صدى الحقيقة” المؤرخة بـ ٢٧/مارت/١٩٠٩ هذا الفكر الآتي بعينه: “لا رياء في الفرض، وأكبر فريضة في هذا العصر هو الاتحاد الاسلامي”.

وما قصد به بديع الزمان من مصطلح وهدف “الاتحاد الاسلامي” موضح من قبله في مؤلفه “الرموز” بالشكل التالي: “ما الاتحاد الاسلامي؟ الاتحاد الاسلامي مجلس نوراني ممتد من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب الى الشمال، وقد دخلنا ذلك المجمع بالايمن الذي هو يمننا وعهدنا بالمثاق الازلي، فنحن أهل توحيد مأمورين بالإتحاد”.

إننا نرى أن الوحدة والإتحاد بهذا المفهوم ترتبط بأقوى الأسس، وتستند على أرضية متينة، ألا وهي قبل كل شئ وحدة العقيدة الموجودة في الأرواح والقلوب ووحدة الأفكار. والمقصود من “المجلس النوراني” هو وحدة القلب ووحدة الفكرة، فمثلاً يقول الأستاذ بديع الزمان في كتابه “الخطبة الشامية” ان الهدف والقصد من الاتحاد هو أعلاء كلمة الله أي جعل الحق عالياً، ويوضح سمو المصطلح والمفهوم الذي يستند عليه “الاتحاد الاسلامي” ويبين أيضاً أن الطريق الى “الاتحاد الاسلامي” يمر من “الشورى” ولا يمكن تحقيق مثل هذا الاتحاد إلا بامتزاج العلم والأفكار.

“لكن الاتحاد لا يكون بالجهل، إن الإتحاد هو امتزاج الأفكار” “المناظرات” .

لقد ردّ الاستاذ بديع الزمان الذي اوضح حتمية امتزاج الأفكار بالشورى كمقومات رئيسية في تحقيق الوحدة والاتحاد، كافة أنواع الإكراه في الدين، واختار النصح عن طريق الحب والإقناع، وبذلك أشار الى أقوى وارصن الأرضية في إتحاد المسلمين، وهذه الأرضية هي الساحة التي تنشأ وترعرع عليها الحرية والديمقراطية. فأراد إنطلاقاً من الإيمان والعلم تقوية الإتحاد كهدف منشود، وتحقيقه عن طريق نهج يعبر عنه بالديمقراطية.

ففي رسائل النور هناك التواصي بالأخوة والوحدة والإتحاد، والنصح بالإبتعاد عن النفاق، والتمزق والإرهاب بصورة قاطعة. فالاستاذ النورسي يبدي الإتحاد الاسلامي كهدف، ولم يحصر مقولته “الحب مسلك للإتحاد” بكلماته وكتاباتة فقط، بل أنه قد أنشغل طويلاً لردّ النازحين نحو التمزق والإنقسام إلى الصراط المستقيم أيضاً. وعندما نظر اليوم إلى المميزات البارزة للإنقسامية القائمة بأفتك جرائمها الوحشية وتخريباتها المخيفة في بلدنا، نستطيع الحكم بكل سهولة: أن رسائل النور هي أقوى دعوى في مداوة وإنقاذ أصحاب الحظ السئ من الشباب المصابين بمكروب العنصرية، والساقطين في مستنقع الإرهاب والإنقسام.

فمع الأسف الشديد قد واجه الغافلون عن هذه الحقيقة الواضحة، والمتخذون الارهاب والإنقسام مسلكاً لهم بالذات، هذه الأنوار التي نشرتها رسائل النور، ووقفوا حياها طويلاً، وأصبحوا هم الخاسرون، وأورثوا الشعب المضرات.

لم يحدد الاستاذ النورسي مبدأ “الاتحاد الإسلامي” كفكرة وعقيدة مجردة، بل حولها إلى حقيقة ذات كيان، وصيغة ملموسة.

وذلك في فكرة “الجماهيرية المتفقة الإسلامية” يعني أنه استهدف “الجمهوريات الإسلامية المتحدة” وفي يومنا

الحالي الذي أوشكنا أن نخطو الخطوات الأخيرة للقرن الحادي والعشرين، نرى تطبيقات سياسية لتوحيد منطقة واسعة في العالم، وتعتبر المخططات من أمثال "جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية" الموجودة في أمريكا الشمالية بإسرها، والإتحاد الأوروبي، والتي يستهدف توحيد الجمهوريات الروسية السابقة، وتوحيد الشرق الأقصى كمشاريع تقود الدول نحو الإتحاد. أما العالم الإسلامي فهي مقسمة أمام هذه المساحات الشاسعة التي تشكلها الدول المتحدة. وهذا بطبيعة الحال نقطة ضعف للعالم الإسلامي جعلته بمثابة البطن اللين للعالم، ومكشوفاً للهجمات كافة.

ان المؤسسات الرسمية التي أمثال منظمة المؤتمر الإسلامي، ومنظمة التعاون الإقتصادي ومجلس التعاون الخليجي، والإتحاد المغربي التي استهدفت إتحاد الدول الإسلامية لم تصل إلى النتائج المرجوة. ولم تبدي منظمة المؤتمر الإسلامي التأثير في حل المشاكل التي أدت إلى مقاتلة المسلمين بعضهم البعض، والمصادمات بالإسلحة، وبذلك فقدت شيئاً كثيراً من إعتبارها ومكانتها. وما شكلت في هذه المنظمة أخيراً من "مجموعة الإلتماس" قد أثبتت جدارتها في تأمين أمن حياة المسلمين البوسنيين، وتأمين حقوقهم المشروعة.

فلماذا لا تستحصل النتائج المرتقبة من مثل هذه المؤسسات المتشكلة ما بين الدول الإسلامية لأجل وحدة وإتحاد المسلمين، والقيام بالتعاون في المواضيع المهمة العاجلة؟ أنه من الممكن البحث عن جواب هذا السؤال، ولكن يمكن القول بأن سببه الأساسي هو أنه على الرغم من جميع اللقاءات والتنظيمات الرسمية، لم تتوحد القلوب ولم تتحد الأفكار. وتوحيد مصادر الطاقة هذه يكمن في سعي إيماني، وعلمي وثقافي حثيث، وعندها فقط تستطيع الإرادات المتحدة تحقيق الإتحاد.

ويعتبر هذا الإجتماع المنعقد في هذا اليوم والذي يضم المسلمين القادمين من شتى بقاع العالم لشتكيل "مجلس نوراني" إشارة مهمة وبشرى كبرى لهذا الأمر. وهناك حاجة ماسة لدعوة الأستاذ النورسي في زماننا هذا أكثر من أي وقت آخر. فيجب علينا أن نفهمه بعمق أكثر وشعور اوسع، ومن ثم نقوم بأفهامه للأخرين. فأدعو وأتمنى أن يقربنا "المؤتمر العالمي الثالث حول فكر بديع الزمان الزمان" لهذه الغاية السامية أكثر فأكثر.

وأقدم لكم أحر تحياتي القلبية.

وأرحب بكم ثانية، وأتمنى أن يمر الاجتماع باليمن والبركة.